ISSN: 2750-6142

المجلد 2، العدد 5، 2023
Vol: 2 / N°: 5 (2023)

المجلة العربية لعلم الترجمة
Arabic Journal for Translation Studies
OPEN ACCESS

Translation of Poetry and Al-Jahiz's Thought Between Possibility and Impossibility

Youssouf Slimani
Oran 1 University, Oran. Algeria
Email : jouseph.b08@gmail.com

Received	Accepted	Published
1/9/2023	11/10/2023	22/10/2023

DOI: 10.63939/AJTS.bv6wrt68

Cite this article as : Slimani, Y. (2023). Translation of Poetry and Al-Jahiz's Thought Between Possibility and Impossibility. *Arabic Journal for Translation Studies, 2*(5), 41-56.

Abstract

The rereading of Al-Jahiz's perspective on translating poetry necessitated delving into his works, analyzing his style, and exploring literary translation theories to reveal his thoughts and ideas from those of others, and his convoluted style often makes it difficult for scholars to follow his ideas. due to the length of his sentences and the wandering of his thoughts. Therefore, it is difficult to see the connection between a book about animals and critical opinion on poetry translation.

However, the research objectives alleviated the difficulties as the translation of poetry is a precise art that requires a lot of research and practice.

Most scholars have agreed that he believed that translating poetry is impossible, yet our research aims to examine the validity of this claim and shed light on the difficulties of translating poetry Through examples from translations of ancient Arabic poetry, and its significance in cross-cultural exchange and dialogue between peoples.

Keywords: Al-Jahiz, Translation, Poetry, Impossibility, Research

© 2023, Slimani, licensee Democratic Arab Center. This article is published under the terms of the Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International (CC BY-NC 4.0), which permits non-commercial use of the material, appropriate credit, and indication if changes in the material were made. You can copy and redistribute the material in any medium or format as well as remix, transform, and build upon the material, provided the original work is properly cited.

المجلة العربية لعلم الترجمة
Arabic Journal for Translation Studies
OPEN ACCESS
المجلد 2، العدد 5، 2023
Vol: 2 / N°: 5 (2023)
ISSN: 2750-6142

ترجمة الشعر وفكر الجاحظ
بين الإمكان والاستحالة

يوسف سليماني
جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، وهران. الجزائر
الايميل: jouseph.b08@gmail.com

تاريخ الاستلام	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2023/9/1	2023/10/11	2023/10/22

DOI: 10.63939/AJTS.bv6wrt68

للاقتباس: سليماني، يوسف. (2023). ترجمة الشعر وفكر الجاحظ بين الإمكان والاستحالة. *المجلة العربية لعلم الترجمة، 2*(5)، 41-56.

ملخص

استدعى البحث عن إعادة قراءة رأي الجاحظ في ترجمة الشعر النبش في مؤلفاته وإمعان النظر في أسلوبه وفي نظريات الترجمة الأدبية حتى يتبين القارء أفكاره من أفكار غيره فما أكثر ما كان في كتبه ناقلا لا مؤلفا وأسلوب الجاحظ يتعب الدارس لطول جُمَله وانسياح أفكاره وإلا فما الرابط بين كتاب عن الحيوان وقول نقدي في ترجمة الشعر! غير أن أهداف البحث هونت تلك المشقة فترجمة الشعر موضوع دقيق وفن رقيق يتطلب الكثير من البحث والممارسة، ولقد اتفق أغلب الدارسين أنه قطع باستحالة ترجمة الشعر فضيق بذلك متسعا، نتلمس في بحثنا هذا صحّة هذا الزعم ونلقي الضوء من خلال ذلك التقصي على صعوبات ترجمة الشعر من خلال نماذج من ترجمات للشعر العربي القديم، وأهميتها في تلاقح الثقافات وتلاقي الشعوب.

الكلمات المفتاحية: الجاحظ، ترجمة، الشعر، استحالة، البحث

©2023، سليماني، الجهة المرخص لها: المركز الديمقراطي العربي.
نُشرت هذه المقالة البحثية وفقًا لشروط Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International (CC BY-NC 4.0).
تسمح هذه الرخصة بالاستخدام غير التجاري، وينبغي نسبة العمل إلى صاحبه، مع بيان أي تعديلات عليه. كما تتيح حرية نسخ، وتوزيع، ونقل العمل بأي شكل من الأشكال، أو بأية وسيلة، ومزجه وتحويله والبناء عليه، طالما يُنسب العمل الأصلي إلى المؤلف.

مقدمة

من سمات الأمم المتحضرة المراجعة المستمرة للأفكار والنظريات مع الاحتفاظ للسابق بعرفان السبق وإجلال العبقرية وتطور الحضارة يتطلب عملية بناء على ما سبق فلا يمكن أن نستحدث شيئا من فراغ، ولا أن نوقف عجلة البحث والنقد عن الدوران أن تقوم بدورها في هذا بناء الحضارة النابع من مراجعات وتفسيرات للتراث أما القطيعة المعرفية مع التراث فمدعاة للوهن والقصور أمام الحضارات الأخرى.

لطالما كانت العلاقة بين النظرية والتطبيق في الترجمة مثار نقاش، بين مستهين بعملية التنظير من منطلق أن الترجمة ممارسة وتطبيق وأن مهاراتها تكتسب بالممارسة لا بالتنظير وبين من يرى أن الترجمة فن ومن يعدّها علما مستقلا وليست حقلا يتيما لا يدري إلى أي فروع المعرفة ينتسب.

والتنظير للترجمة الأدبية في تراثنا النقدي القديم شحيح والجاحظ يحوز قصب السبق في هذا الميدان، وهو بلا ريب فخر الثقافة العربية ناقدا أدبيا ومفكرا دينيا واجتماعيا وسياسيا،

لكن رأيه فيما يخص ترجمة الشعر يحتاج إلى مزيد بيان، فكثيرا ما يُرجع في موضوع استحالة ترجمة الشعر (العربي) إلى مقولة له في كتاب الحيوان ولتبيان موقفه سنحاول في هذا البحث استقصاء السياق الذي اتخذ دليلا على قطعه باستحالة ترجمته وهل يصّح التماس رأي للجاحظ من نتف قليلة جدا لم تشمل ظاهرة الترجمة الأدبية من جميع أطرافها؟ بالإضافة إلى التعريج على صعوبات أخرى في ترجمة الشعر لم يشر إليها الجاحظ وقد تضمن البحث نماذج ترجمات للشعر العربي القديم لقرّاء الإنجليزية وضحنا من خلالها مكامن النجاح ومظاهر الإخفاق في ترجمة الشعر العربي.

1- خصوصيات ترجمة الشعر

ترجمة الشعر وهي ترجمة أدبية صنف من صنوف الترجمة والترجمة ممارسة لغوية بالأساس، وإذا كانت اللغة ظاهرة معقدة فالترجمة عملية أعقد وأصعب لأنها علاقة بين لغتين وثقافتين مختلفتين زيادة على توسط ذات المترجم بينهما " فمهمة المترجم وقيمته تتجليان في مدى قهره للصعوبات التي يطرحها تعدد اللغات وتباين الثقافات ... وأن يمحو اسمه ليسمح لكاتب النص الأصلي أن يتكلم بلغة أخرى من دون أن يفقد هويته" (عبد السلام بن عبد العالي، 2001، ص 34).

لكل أمة لغة وثقافة وهاذان العنصران أهم ما يشكل مضمون العمل الأدبي وفهما تكمن صعوبة ترجمته، فاللغة في الأدب تعدو كونها وسيطا ينقل الأفكار والأحاسيس وما كان للأدب أن يوجد لولا اللغة فهي مادته، زيادة على اللغة فالأدب نتاج ثقافة كاملة مع لمسات شخصية خاصة بكل أديب فعملية الترجمة هذه ليست عملية آلية ولا هيّنة وإنما وظيفة المترجم الأدبي نقل المشاعر والعواطف التي يحتويها العمل الأدبي "فالمترجم الذي لا يحاول فهم كيف تتم عملية الترجمة هو مثل سائق سيارة ليس لديه أدنى فكرة عما يجعل السيارة تسير. كذلك فإن الأكاديمي المتحفظ الذي يبحث في كيفية حدوث الشيء على حساب ماهيته شأنه شأن الميكانيكي الذي يقضي حياته بتفكيك المحركات ولكنه لم يقم قط بجولة بالسيارة" (باسنت سوزان ، 2012، ص 110)، أما مترجم الشعر فمهمته أصعب لأنه من أكثر الاصناف الأدبية تعرضا للخسارات الدلالية بفعل الترجمة لأن اللغة فيه مزيج من الإبلاغ والإبهار ولأنه إنتاج ثقافي وتجربة شخصية ذاتية فنقل الكلمات قد يكون في المتناول لكن نقل التجارب الوجدانية مهمة خطرة ، ومترجم الشعر يتعين عليه نقل المعنى والمبنى وهذا النقل لا يتم إلا بالفهم والإحساس لذلك اشترط بعضهم أن يتولى ترجمة الشعر الشعراءُ

لأنهم أرهف الناس حسا فيمكّنهم ذلك الإحساس من التواصل الروحي مع المؤلف ومع النص ، غير أن ما يعتري ترجماتهم عدم قدرتهم نقل المعنى بأمانة فكثيرا ما ينفذون بفعل الترجمة ليبرزوا ذواتهم الشعرية فيتنكرون بذلك للنص الأصلي، ومن هنا يمكن القول أن الترجمة الأدبية مهنة من يمتلك الحس الفني وكثيرا من الحرية والشجاعة وعشق الأدب وبالتالي فإن عملية الترجمة قد تصل إلى مستوى العملية الإبداعية كالنص الأصلي أو قد تكون دونه ومن النادر جدا أن تكون مطابقة تماما للأصل، وهذا يطرح إشكالا آخر من مشكلات الترجمة الأدبية وهو تحديد العلاقة بين الترجمة والأصل وبين المؤلف و المترجم فإذا كانت الترجمة عملية إبداع ثانية فما قيمة النص الأصلي وكيف تحفظ حقوق مؤلفه ؟

2- بيان رأي الجاحظ في ترجمة الشعر

في مقدمة كتاب الحيوان تناول الجاحظ موضوع فضل الكتب وأهميتها وتناوله هذا لا يخلو من طرفة فقد استهل كتابه بمحاورة مع صديق له مجهول عاب على الجاحظ مواضيع عدّة كتب فيها بل يكاد يعيب عليه كل ما كتب وهذا يدعونا للشك هل له وجود فعلي أم أنها حيلة من حيل الجاحظ في المحاججة بأن يخترع خصما وهميا يتكلم من خلاله بلسان المعارض حتى يثبت الفكرة المضادة ويتخفى من خلاله وهذه السبيل مبثوثة في كتب الجاحظ ولا غرو فهو معتزلي الهوى متمرس في المراء وتلك حيلة أخرى للترويج لكتبه فقد ذكر في مقدمة الحيوان نيفا وعشرين كتابا له ودافع عنها وأظهر محاسنها متذرعا بالرد على ذلك الصديق المجهول .

فهذا الصديق الوهمي عاب عليه مواضيع مختلفة في كتبه حتى انتهى به الحال أن يعيب صناعة الكتب جملة: " ثم لم أرك رضيت بالطعن على كل كتاب لي بعينه، حتى تجاوزت ذلك إلى أن عبت وضع الكتب كيفما دارت بها الحال ...وقد كنت أعجب من عيبك البعض بلا علم، حتى عبت الكل بلا علم، ثم تجاوزت ذلك إلى التشنيع ، ثم تجاوزت ذلك إلى نصب الحرب فعبت الكتاب ، ونعم الذخر والعقدة هو ، ونعم الجليس والعدة" (الجاحظ، 2003، ص 38).

وهنا يتدخل الجاحظ تدخل المدافع عن صنعة الكتب وفضلها ولا يعنيه ما فيها أكان شعرا أم نثرا فليس هذا المعول عليه، ولكنها أي الكتابة هي التي تحارب النسيان البشري وتهب المعاني إمكانية الخلود بعد موت صاحبها والكتاب بقدر ما يتيح الانتقال الزماني يتيح الانتقال المكاني الى غير ذلك مما ذكره الجاحظ فلا يمكن إذن أن نرميه بمعاداة الشعر وتفضيل الكتب عليه وكيف يكون ذلك وكتابه "الحيوان" مليء به.

ثم انتقل من ذلك إلى فضل الخط في الحضارة " وليس في الأرض أمة بها طِرْقٌ أو لها مُسْكة، ولا جيل لهم قبض و بسط، إلا ولهم خط فأما أصحاب الملك والمملكة، والسلطان والجباية، والديانة والعبادة، فهناك الكتاب المتقن ، والحساب المحكم : ولا يخرج الخط من الجزم والمسند المنمنم والسمون كيف كان ، قال ذلك الهيثم (ابن عدي)، وابن الكلبي "(الجاحظ، 2003، ص 51).

والمهم هنا هو أنه قال إن هذا رأي الهيثم بن عدي وابن الكلبي ومعلوم أن الهيثم بن عدي كتب كتبا في المنافرات وكان عيّابة وكان يُرمى بالشعوبية فشرع الجاحظ في الرد عليه موضّحا كيف عاب على العرب اتخاذهم الشعر واعتدادهم به وشرع يفصل في نقائصه وأن الأمم التي اتخذت الكتب تخليدا لمآثرها كانت أبعد نظرا من العرب التي اتخذت الشعر مطية لذلك.

حيث يقول في كتاب الحيوان في باب " (تخليد الأمم لمآثرها) {قال} : فكل أمة تعتمد في استبقاء مآثرها ، وتحصين مناقبها ، على ضرب من الضروب، وشكل من الأشكال" (الجاحظ، 2003، ص 51). وأثبت ثلاث طرائق في تخليد مآثر الشعوب: الشعر، والبنيان والكتب ثم يذكر حجج كل فريق ومواطن النقص لدى كل منهم كذلك حكاية عنهم إما تصريحا باستخدامه صيغة " وقال بعض من

ينصر الشعر ويحتج له" (الجاحظ، 2003، ص 53) على عادته في التحليل المنطقي وعرض الحجج والحجج المضادة ثم يُظهر موقفه ضمنيا أو مصرحا به فيقول في شأن فضل الكتب على البنيان: " فالكتب بذلك أولى من بنيان الحجارة وحيطان المدر لأن شأن الملوك أن يطمسوا على آثار من قبلهم ويميتوا ذكر أعدائهم. ويقول في شأن فضل الكتب على الشعر " وأما الشعر فحديث الميلاد صغير السن أول من نهج سبيله وسهل الطريق إليه امرؤ القيس بن حجر ومهلهل بن ربيعة ... وفضيلة الشعر مقصورة على العرب وعلى من تكلم بلسان العرب كما أنه لا يستطاع أن يترجم ومتى حوّل تقطع نظمه وبطل وزنه وذهب حسنه وسقط موضع التعجب فيه" (الجاحظ، 2003، ص 52).

إن قول الجاحظ " وفضيلة الشعر مقصورة على العرب وعلى من تكلم بلسان العرب" (الجاحظ، 2003، ص 53) من أكثر الأقوال التي أسيء فهمها واتخذت مطية في القديم والحديث لرمي الجاحظ بالتعصب للعرب وتم استخدامها حديثا للدلالة على قطع الجاحظ باستحالة ترجمة الشعر العربي فقط أي أنه لا ينكر ترجمة ما هو غير عربي إلى العربية بل يرى أن ذلك يزين المنقول ، وهذه التأويلات - في رأي - تجنّ على الجاحظ مرّده سوء فهم لمراده على افتراض أن القول اعتقاده ولم يكن ناقلا فهو عندما يقول أن فضيلة الشعر مقصورة على العرب يجب أن نعود لسياق مقولته تلك كما بيّناه ثم إن قوله : وعلى من تكلم بلسان العرب إشارة مهمة على براءته من التعصب للعرب فقد يكون المتكلم بالعربية فارسيا أو روميا فهو هنا لا يحرمه من لذة تذوق الشعر أو كتابته وهل كان بشار بن برد عربيا خالص النسب أو مهيار الديلمي وغيرهم كثيرون وهذا تفسير يصح في المنطق فالشعر العربي مقصورة فائدته على العرب أو على من تكلم بلسانهم أي مقصور فهمه على من تكلم بالعربية وبالتالي فإن اتخاذه لتخليد المآثر ليس أنجع أداة لأنك لا تستطيع أن تفخر به على من لا يفهمه شأنه شأن الشعر اليوناني مثلا المقصور فهمه على من تكلم اليونانية وهكذا أشعار اللغات المختلفة ولو ترجمته للأجنبي بغرض الزهو عليه لما كان لذلك عظيم فائدة لأنه سيجد أنه لا يخلو من حكمة لم تقلها العجم في كتبهم

فالجاحظ يضرب بذلك القول عدة أهداف : عندما يقول أن فضيلته مقصورة على العرب يعني ذلك أنه لا يترجم لأنه لو ترجم لانتفت فضيلته ولما استفاد منه المتلقي الذي يترجم له شيئا يعني ان الانتفاع بالشعر عنده محصور في الملمس الخارجي و خارج عن نطاق المضمون وانما ولا نوافق الجاحظ في فالأعمال الشعرية العظيمة تبقى تثير التأويلات وتجود بالمعاني بتوالي السنين والحقب وباختلاف الأماكن والأحوال وميزة الأعمال الخالدة أنها تظل تثير سعار المفسرين على الدوام " ابن الأعرابي يقول : إنما أشعار هؤلاء المحدثين مثل "أبي نواس" وغيره مثل الريحان يشم يوماً ويذوى، فيرمى به.. وأشعار القدماء مثل المسك والعنبر كلما حركته ازداد طيباً" (المرزباني، 1995، ص 268).

ثم إن الترجمة يمكن أن تحل هذا الإشكال لأنها تتيح للأجنبي أن ينتفع ويستمتع بالشعر العربي ويبهره كما بهر المتلقين العرب وبالتالي يمكن أن يكون الشعر والفن والأدب عامة وسيلة لتخليد مآثر الشعوب من باب الترجمة التي تبيح تلاقح الشعوب ثقافيا ومعرفيا.

موقف الجاحظ من ترجمة الشعر نابع بلا شك من اعتقاده ومنهجه المعتزلي وهو إنما ضرب مثالا بالأدنى الذي هو الشعر ليدلل أو ليقطع باستحالة ترجمة الأبعد وهو القرآن أو كتب الدين لذلك لا يمكن أن نفصل أراء الجاحظ النقدية عن عقيدته المعتزلية لأنها تصدر عن مشكاة واحدة " لقد أخضع الجاحظ نظريته لأصول المعتزلة، وأغرقها في الجانب التأملي الذي تنقصه الممارسة وتفصيل هذا الأمر: أن الشائع في تاريخ الجاحظ أنه لم يحسن لغة غير العربية " (عبد الحميد مصطفى، 1978، ص 44).

لكنّا وقعنا على قول للجاحظ يرى فيه للترجمة دورا حيويا وهي الترجمة المعاكسة يعني من العربية إلى ما سواها ففي النص الديني لا يرى بأسا في الترجمة من العربية إلى غيرها، بل ويحظّ على ذلك خدمة لانتشار الدين والجاحظ هنا لم يفصّل القول في الخسارات المحتملة التي قد يتكبدها النص بفعل الترجمة وإنما بث رأيه مقتضبا ومعلوم أن شيوع الترجمة في زمن الجاحظ وزمن دار الحكمة التي أنشأها المأمون كان يتم بالعكس أي من اللغات الأخرى إلى العربية."... إنما خاطب العرب، وهم الحجّة على جميع أهل اللغات، ثم تصير تلك المخاطبة لجميع الأمم بعد الترجمة على ألسنة هؤلاء العرب، الذين بهم بدأت المخاطبة لجميع الأمم" (الجاحظ، 2003، ص 128).

وما يمكن أن نستخلصه في هذا الباب أن ربط الجاحظ بين الدين وباقي الأنماط الفكرية شديد الصلة حيث إنه عندما يقرن الشعر بالعرب فإنه في ذلك يصدر عن رأيه الأعم والأشمل في العرب وقد كان الجاحظ مولعا بالتصنيف فقد صنف الأمم أمما معتبرة وأمما غير معتبرة وأورد لكل أمة مناقبا ومثالبا بحيادية وتجرد مدهشين ورأى أن كل أمة اختصت بحظ من الحظوظ وحظ العربية مقصور على العرب والبيان صنعتهم ولله في ذلك حكمة فإن هذه الفئة كانت مهيأة لتقبل الوحي " .... وليس في الأرض قوم أعنى بذم جليل القبيح ودقيقه وبمدح دقيق الحسن وجليله من العرب، حتى لو جهد افطن البرية وأعقل الخليقة أن يذكر معنى لم يذكروه لما أصابه ... ولهم حظ العربية مع الحفظ لأنسابهم ومحاسن أسلافهم ومساوئ اكفائهم " (الجاحظ، 1967، ص 92) فهذا إشكال لا يتسع المجال هنا إلى تبيانه.

فالترجمة من اللغات الأخرى إلى العربية في نظر الجاحظ ممكنة " وقد نُقِلَتْ كتبُ الهند وتُرجمتْ حكم اليونانيّة وحُوِّلت آدابُ الفرس فبعضها ازدادَ حُسناً وبعضها ما انتقص شيئاً ولو حوّلت حكمة العرب لبطل ذلك المعجزُ الذي هو الوزن مع أنَّهم لو حوَّلوها لم يجدوا في معانيها شيئاً لم تذكرْه العجم في كتبهم" (الجاحظ، 2003، ص 75) غير أن حكمة العرب مبثوثة في الشعر وهو ديوانهم الذي لو ترجم لم يزدد بهاء ولا انتُفع به لأن ما فيه من حكم يشابه ما عند الآخرين وإن ما يمنحه الإبهار هو الوزن الذي يتقطع بالترجمة.

أخيرا نتساءل كيف يمكن أن نتبين ملامح نظرية الجاحظ في الترجمة من نتف في غاية القصر مبثوثة في كتبه ولولا كان أفرد لها كتابا عن التنظير للترجمة أو رسالة ليستبين رأيه، أم أن ما كتبه عنها ضاع وطوته الأيام.

1-2 سياق رأي الجاحظ في ترجمة الشعر

السياق الذي يفترض أن الجاحظ قدّر فيه عمر الشعر العربي القديم لا يختلف عن السياق الذي يفترض أنه قطع فيه باستحالة ترجمته، وهو حديثه عن فضل الكتب على بنيان الحجر وعلى الشعر في تخليد مآثر الشعوب، والعلاقة التي نسعى إلى توضيحها أن الجاحظ حصر الفترة الزمنية التي كان الشعر فيها مخلدا لمآثر العرب وهي العصر الجاهلي وكان مراده أن يقصّر في عمر الشعر العربي ليوضح القصور في اتخاذه في تخليد المآثر ولو أراد أن يطيل عمر الشعر لغاية حجاجية أخرى لفعل فهو لا تعوزه الحجة ولا سعة الاطلاع.

وأكبر القضايا التي يثيرها أمر الشعر الجاهلي كما يرى محمود محمد شاكر في كتابه " قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام " ثلاث: قضية عمر الشعر الجاهلي ثم قضية مقدار ما انتهى إلينا منه ثم قضية وضع الشعر والانتحال فيه والجاحظ لم يخض في هذا المقام في القضيتين الأخيرتين كما لا نخوض فيهما هنا لأنهما لا تعنيان البحث ، وإنما في عمر الشعر الجاهلي تدعيما للفكرة التي كان يدافع عنها وما حديثه عن صعوبة أو استحالة ترجمة الشعر إلا ضرب من تلك الغاية ، فيقول: "وأما الشعر فحديث الميلاد

صغير السن أول من نهج سبيله وسهل الطريق إليه امرؤ القيس بن حجر ومهلهل بن ربيعة ، بينما الكتب أقدم منه بكثير فيقول متمّا لمقولته وتدعيما لفكرته " وكتب أرسطوطاليس ومعلمه أفلاطون ثم بطليموس وديمقريطس وفلان بن فلان قبل بدء الشعر بالدهور قبل الدهور والأحقاب قبل الأحقاب ويدلُّ على حداثةِ الشعر قولُ امرئ القيس بن حُجْر:

إنَّ بني عوفٍ ابتَنَوا حسناً ضيّعه الدُّخلُلُون إذ غَدَرُوا

أدَّوا إلى جارهم خفارته ولم يَضِعْ بالمَغيب مَنْ نَصَرُوا

لا حميري وفي ولا عدس ولا است عَيرٍ يحكها الثَّفر

لكن عوير وفى بذمته لا قصر عابه ولا عور

فانظر كم كان عمر زرارة وكم كان بين موت زرارة ومولد النبي عليه الصلاة والسلام فإذا استظهرنا الشعرَ وجدنا له إلى أن جاء اللّه بالإسلام خمسين ومائةَ عام وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام" (الحيوان، 2003، ص 52).

ولقد أوضح محمود شاكر كيف استنتج الجاحظ من هذه الأبيات عمر الشعر العربي "وظني وهو ظاهر الصواب إن شاء الله أن أسلوب الجاحظ في استظهاره هو هذا : كان موت زرارة بن عدس قبيل مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذه نحو من خمس وأربعين سنة إلى أن بعث الله رسوله بالإسلام على رأس أربعين سنة من مولده وزرارة بن عدس قد رأس وقاد تميما نحوا من أربعين سنة أو أكثر إلى أن أسن ومات قبل يوم أوّارة الثاني فهذه نحو من تسعين سنة وأبوه عدس بن زيد قد ساد من قبله ورأس نحوا من أربعين سنة فهذه مئة وعشرون الى مئة وخمسين سنة" (شاكر محمود محمد، 1997، ص: 12- 13).

وجملة المآخذ على تقدير الجاحظ لعمر الشعر العربي تتلخص في النقاط التالية:

- أن شعر امرؤ القيس وقبله مهلهل بن ربيعة جاء موزونا ومقفى على ضروب مختلفة من الأوزان فكيف تسنى لهما استحداث هذا القدر من البحور المختلفة الأوزان والقوافي.

- أنه نقل أولية تقصيد القصائد التي بدأها مهلهل بن ربيعة وابن اخته امرؤ القيس من معنى خاص محدود وهو تطويل القصائد إلى معنى عام مطلق جامع هو الشعر نفسه بينما قال ابن سلام وهو أعرف منه بالشعر في كتابه طبقات فحول الشعراء أن مهلهل بن ربيعة كان أول من قصد القصائد على عهد عبد المطلب وهاشم بن عبد مناف وابتدع امرؤ القيس أمورا في الشعر استحسنتها العرب

- تحديده عمر الشعر الجاهلي بمائتي عام قبل الإسلام كما سلف ذكره وقد ساعفه في ذلك أبيات لامرؤ القيس، وكان الأصح أن يكون هذا أي مائتي عام قبل الإسلام عمر أُقدم ما وصلنا منه أو تاريخ بدأ تقصيد القصائد.

2-2 مناقشة صعوبات ترجمة الشعر عند الجاحظ

رأى الجاحظ في القالب الشكلي للشعر ممثلا في الوزن والنظم ، موضع التعجب أو السر المعجز فيه ويعزز هذا ما قاله أنه لو حوّل لبطل ذلك المعجز الذي هو الوزن مع أنهم لو حولوه لم يجدو فيه شيئا لم تذكره العجم في كتبهم، وهذه النظرة النقدية في خصيصة تميز الشعر عن غيره من صنوف الكلام بالمظهر الشكلي متجذرة في تراثنا النقدي فنجد في عيار الشعر لابن طباطبا "الشعر كلام منظوم ، بائن عن المنثور الذي يستعمله الناس في مخاطباتهم ، بما خص به من النظم الذى إن عدل عن جهته مجته الأسماع وفسد على الذوق" (ابن طباطبا، 2005، ص 3) فهذا لم يفرق بين الشعر والنثر إلا بخاصية النظم ، وقد خاض ابن خلدون في هذا المجال بتفريقه بين من يرون الشعر مقصورا على العرب وأن من أهم صفات تفريقه عن غيره أن يجري على ما ارتضته العرب

في أساليبهم وبين من يرون أن للشعوب الأخرى أشعار كذلك فيقولون أنه في الحال هذه من مميزاته أن يجري على الأساليب المخصوصة ، يمكن أن نجمل خصائص الشعر في أربع : الكلام البليغ -الخيال- الوزن - ما تواضع عليه العرب من أساليب .

فيمكن التساهل قليلا بعض هذه المكونات فالمتنبي والمعري مثلا لم ينظما شعرا في النهج المتواضع عليه، والخيال ملكة ربانية قد تخف وتكثر بين الشعراء ، وكذلك الحظ من البلاغة مقسوم بمقدار بينهم ، غير أن عنصر الوزن لا يمكن التنازل عنه لأنه أهم مكون يفرق بين الشعر والنثر "وبعد فقد رأينا أن نقاد العرب يجمعون على أن الوزن والقافية عنصر أساسي في الشعر وركن من أهم أركانه ولهذا لم ترهم يطلقون هذه الكلمة (الشعر) على غير الموزون المقفى مهما اشتد الشبه بين الكلام المنثور والشعر من ناحية والأسلوب ، فالموسيقى أبرز صفات الشعر" (بدوي أحمد أحمد، 1996، ص 119).

غير أن موضع التعجب في الشعر يصعب تحديده وهو السر فيه هل يكمن في الوزن فقط؟ أم في حسن السبك أم في الجرس الموسيقي وهو ما يسمى في العروض الإنجليزي الإيقاع أم في المعاني المليئة بالخيال الجامح، والأوزان والبحور موجودة في أشعار جميع الأمم، ولكن خصوصيات الأوزان تختلف من لغة إلى أخرى، بل وتختلف بين اللغات ذات الأسرة الواحدة.

وبالتالي فالجاحظ قطع باستحالة ترجمة المظهر الشكلي للشعر وليس روح الشعر وربما عانى قليلا من قلة الاطلاع على أشعار الأمم الأخرى - شأنه شأن العرب الذين استغنوا بشعرهم - وما فيها من أوزان لأن المعنى لم يكن ليخرج عما ذكرته العجم في كتبهم وبالتالي فالمشكل عنده هو ترجمة الوزن وسنرى فيما يلي كيف استطاع بعض المترجمين تحويل الوزن العربي لما يقابله في العروض الإنجليزي ولا يشترط أن يماثل الوزن الأصلي، بل المطلوب إنتاج نص موزون بما يلائم الإيقاع والثقافة المستقبلة.

وهنا مسألة أخرى لها وجود قوي في النقاشات الدائرة حول ترجمة الشعر وهي مسألة القالب الشكلي للشعر، هل ينبغي ترجمة الشعر في شكل منظوم أم في شكل نثر؟

وكما هو متوقع فإن الذين يعتقدون في استحالة ترجمة الشعر يميلون إلى التأكيد على أنه إذا كان للشعر أن يترجم فينبغي أن يكون النثر هو الوسيط المستخدم لذلك الغرض، ويرون الحل المرضي هو تقديم تعليق لفظي ونصي وترجمة حرفية غير أدبية للقارئ إلى جوار النص الأصلي وبذلك يتمكن القارئ من التعايش مع النص الأصلي بنفسه

ثم إن صعوبات ترجمة الشعر صعوبات نمطية في أشعار كل اللغات تظهر في شكل القصيدة الشعرية وفي مضمونها وفي كل مكون من مكوناتها ولا يجب التركيز على جانب منها دون الجوانب الأخرى لأن القصيدة بوصفها تركيباً عضوياً واحداً الفشل في ترجمة أحد مكوناته قد يسيء إلى نتيجة الترجمة

ثم إن اللغة في مبدأها ماهي إلا مجاز "فعندما يسأل الطفل أمه عن معنى هذه الكلمة أو تلك، ففي الواقع يطلب منها ترجمة المفهوم المجهول إلى لغته هو. فالترجمة داخل لغة معينة، لا يختلف مبدأها في هذا الإطار، أساسا عن الترجمة من لغة إلى أخرى" (أوكتافيو باث، 2013، ص 57). هذا عن اللغة بصفة عامة وإذا صرنا إلى التخصيص فقصيدة الشعر تمثل رؤية للعالم وإن كان الشاعر يشترك مع أبناء لغته في الإلمام بمفردات اللغة فتوظيفه لها يختلف عنهم وعن شاعر آخر وكذلك الأمر بالنسبة للقرّاء داخل اللغة نفسها فما تثيره القصائد في النفوس يكاد يكون لانهائيا ومختلفا وبالتالي ما الضير إذا زدنا دائرة هذا الاختلاف (لتحقيق غاية نبيلة وهي تعميم تذوق الشعر الجميل لكل البشر) عندما ننقل القصيدة إلى لغة أخرى طالما كان الاختلاف لا بد واقع عند تلقي الأدب ؟ لأن " كل قراءة ترجمة، وكل نقد تأويل، أو يرمي إلى ذلك، لكن القراءة ترجمة داخل اللغة نفسها والنقد نسخة حرة عن القصيدة، بينما يجب على المترجم بناء قصيدة مشابهة للأصل في لغة أخرى وبرموز مختلفة ... هكذا يكون نشاط المترجم في هذا الشق موازيا

لنشاط الشاعر، لكن باختلاف رئيس: فالشاعر يجهل الشكل النهائي لقصيدته عند الكتابة، بينما يعلم المترجم أن قصيدته يجب أن تعيد بناء النص الذي بين يديه" (أوكتافيو باث، 2013، ص 61).

- **طرائق المترجمين للتخلص من استعصاء ترجمة الوزن**

يري بعض الباحثين أن الشعر المترجم الذي يلتزم الوزن والقافية الأصلية يأتي مترهلاً لذا فالحل أن تكون الأعمال المترجمة حرة ومرسلة غير أن بعض الترجمات الخالدة استطاع أصحابها ترجمة اللفظ والمعنى والإيقاع "وهذا ما حاوله الشاعر الإنجليزي تينيسون وأعقبه المستشرق رينولد نيكلسون فكان أبلغ شأوا وأبعد مرمى في هذا المجال فقد ترجم قصيدة لـ تأبط شرا لفظا ومعنى ووزنا" (صفاء خلوصي، 1982، ص 44)، وقد تمت تلك الترجمة من العربية إلى الإنجليزية بالرغم من الاختلاف بين العروض العربي والعروض الإنجليزي إذ "إن البحور العربية تعتمد على الكم بينما البحور الإنجليزية تعتمد على الكيف" (صفاء خلوصي، 1982، ص 44) فالأول قائم على تقسيم المقطوعات إلى طويلة وقصيرة أما في العروض الإنجليزي فيتم التركيز على عدد النبرات بغض النظر عن قصر المقاطع أو طولها أي أنه قائم على الكيف مع التفريق فيه بين الإيقاع rythme و الوزن metre؛ كما يبلغ عدد البحور العربية ستة عشر "والبحور الأساسية في العروض الانجليزية ستة " (خلوصي صفاء ، 1982، ص 254)، قد قام صفاء خلوصي في كتابه "فن الترجمة في ضوء الدراسات المقارنة " نقلا عن البروفيسور رايت الذي قال أن البحور العربية يمكن تصنيفها حسب مجموعات البحور الإنجليزية في خمس مجموعات :

1- المجموعة الآيمبي Iambic وتشمل الرجز ، السريع، الكامل، الوافر.

2- المجموعة الأنتيسباتية Antispastic وتشمل بحرا واحدا فقط هو الهزج.

3- المجموعة الأمفيبراكية Amphibrachic وهي المتقارب، الطويل، المضارع.

4- المجموعة الأنابيستية Anapaestic وهي المتدارك، البسيط، المنسرح، المقتضب.

5- المجموعة الآيونية Ionic وتشمل الرمل، المديد، الخفيف، المجتث " (خلوصي صفاء، 1982، ص 254).

أما بالنسبة للقافية فيرى رينولد نيكلسون أن القافية في الشعر العربي و الفارسي مكون مهم ولا يجب إغفاله في ترجمة هذا الشعر لأن ترجمته غير مقفى تجعل منه مملا يقول نيكلسون :

" Rhyme is an indispensable element in Arabic and Persian poetry, and there are other reasons why it should not be abandoned willingly by translators who use English metres" (Nicholson, 1922, p. 8).

لاحظ مترجمو المعلقات خصوصا قدماء المستشرقين منهم " كوليام جونز" و"تشارلز ليال" و"بلانت" بأن ما يمكنه أن يماثل أسلوب اللغة العربية القديمة هو أسلوب الإنجيل "Biblical style".

The same metrical purpose actuated Wilfrid and Lady Blunt though they felt that a Biblical style of English would represent more closely the archaic Arabic (Arberry, 1957, p. 57).

3- صعوبات أخرى في ترجمة الشعر

يرجع الفضل إلى اللسانيات في تدارك التقصير في التنظير للترجمة، فاللسانيات تدرس اللغة والترجمة موضوعها اللغة، وبالتالي فإن الترجمة دخلت في كنف اللسانيات. غير أن الترجمة الأدبية تملك خصوصية وهي أن اللغة في الخطاب الأدبي تحمل وظيفتين

إبلاغية وجمالية وتغدو مطلوبة لذاتها ولا يمكن فصل الجرس الصوتي عن الجانب التركيبي في الشعر خاصة. لذلك نعرض لأهم صعوبات ترجمة الشعر.

أ- صعوبات ثقافية

لا يكفي في ترجمة الشعر الإحاطة بالمكونات اللغوية، بل يجب على المترجم الغوص في المكونات الثقافية كذلك، فالشعر يتوفر على الكثير من الإشارات التي يشترك فيها الشاعر وقراؤه بحكم انتمائهم لنفس الثقافة ويمكن تصنيفها إلى الفئات التالية:

* إشارات إلى شخصيات وأحداث تاريخية: كقول زهير بن أبي سلمى:

تداركتما عبسا وذبيان بعدما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم

و"منشم" كانت امرأة عطارة يروى أن قوما تحالفوا على عطرها للحرب فقتلوا جميعا فضرب بها المثل في الشؤم فالمترجم يقف عاجزا عن إيصال فكرة تشاؤم الشاعر من الحرب واختيارها لهذا المثل من ثقافته، ونضرب لهذا القسم مثالا آخر من معلقة طرفة بن العبد منها قوله:

عدوليةٌ أو من سفين ابن يامنٍ يجور بها الملاح طوراً ويهتدي

من بين الترجمات لهذا البيت ترجمة "مايكل سلس" Sells Michael فقام بتحويرات عليها ليسهل فهمها ولكن ذلك تم على حساب المعنى فترجم البيت كما يأتي:

The ship of an 'Adawliyyan,

or the Yemenite,

the mate tacking at times,

then bringing her around. (Sells,1986, p. 24)

فإن كان وفق في ترجمة عدولية بـ Adawliyyan وأضاف an ولم يترجمها بـ Adawliyaton غير أنه لم يوفق في ترجمة "سفين ابن يامن" بـ"يمنية" ولا علاقة بين ابن يامن واليمن اللهم إلا تشابه في الحروف ، فتغير المعنى قليلا فأصبح كان المراد أن هذه السفينة إما عدولية أو يمنية بينما ترجمة وليام جونز أكثر فهما للمعنى لأنه أبقى على كلمة ابن يامن كما هي Ibn Yamin ولكنه أضاف له صفة التاجر the merchant وهي غير موجودة في البيت :

Sailing from Aduli; or vessels of the merchant Ibn Yamin, which the mariner now turns obliquely, and now steers in a direct course (Clouston, 2023, p. 29)

وهذا من الحشو في الترجمة لأنه وقع أمام اختيار صعب فالقارئ للشعر في عصره يدرك شهرة ابن يامن في صناعة السفن فهو ليس بحاجة أن يذكر بأنه تاجر أما القارء الإنجليزي في عصر يختلف تماما عن عصر المعلقات فلا يدرك أن ابن يامن هذا تاجر مختص في بيع السفن إلا إذا وضح ذلك المترجم.

* إشارات إلى عادات وطقوس خاصة.
* الإشارة إلى أسماء أماكن: وهذه الأسماء قد تكون مواقع لحروب أو غارات أو مكان لقاء المحبوبة.

ب- صعوبات ترجمة الصور البيانية

تندرج الصور البيانية ضمن الصعوبات الثقافية لشدة ترابط هذه الصور بالثقافة وبالبيئة التي أنتجتها واستخدام الصور البيانية على اختلافها في الأغراض الأدبية كثير. يعمل على تدعيم فكرة الكاتب ويزيد من تأثيرها وتكمن صعوبة ترجمتها في كونها عدولا وخرقا للاستعمال العادي للغة أولا ثم في مطلب فهم مدلولات هذه الصورة ثم في إيصالها إلى متلق غريبة عليه وغريب عنها وكلما كانت اللغتان متباعدتان من ناحية الأسر اللغوية والحمولات الثقافية كلما تحتم على المترجم الالتجاء إلى تحوير وتكثيف الصور البيانية حتى تلقى قبولا حسنا لدى القراء المستهدفين وهذه الصور البيانية تملكها الآداب في اللغات كلها لأن المجاز خصيصة من خصائص الإنسان العاقل تميزه عن الحيوان.

وأكثر الصور البيانية مشقة على الراغب في ترجمتها الاستعارة، لأنها تجمع بين الخيال القوي وبين السياق وما يحيط بنا من عوالم طبيعية وثقافية واجتماعية و تقاس جودة الاستعارة على غرار جودة الترجمة من خلال تأثيرها في المتلقي عرّف الجرجاني الاستعارة بقوله: "فالإستعارة أن تريد تشبيه الشيء بالشيء فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره وتجيء إلى اسم المشبه به فتعيره المشبه وتجريه عليه تريد أن تقول رأيت رجلا هو كالأسد في شجاعته و قوة بطشه فتدع ذلك وتقول رأيت أسدا" (الجرجاني عبد القاهر، 1984، ص 67)، فالمترجم من اللغة العربية مثلا يجد مسميات عدة لعضو واحد وليكن الشفة : فالشفة للإنسان والمشفر للبعير والجحفلة للفرس وهذه الفروق قد لا توجد في غير اللغة العربية فالشاعر إذا استعمل لفظا منها في غير موضعه فقد استعاره كقول الشاعر :

ومقلة وحاجبا مزججا وفاحما ومرسنا مسرجا

فالشاعر يعني أن لها أنفا يبرق كالسراج، ولكنه استعار لفظ المرسن الذي يقال للحيوان وهو موضع وضع الرسن منه فهذه استعارة من جهة اللفظ لا المعنى فإن لفظ المرسن لم يبلغ شيئا في توكيد المعنى غير افادته لمعنى الأنف والأفضل للمترجم أن يجد لها لفظا مركبا من كلمتين أو أكثر طالما لم يجد لها مرادفا في لغته. يقدم الجرجاني نصيحة مهمة في ترجمة الاستعارة فيقول:

"ولو أن مترجما ترجم قوله: *وإلا النعام وحفّانه؛ وطغيا من اللهق الناشط*؛ ففسر "الحفان" باللفظ المشترك الذي هو كالأولاد والصغار' لأنه لا يجد في اللغة التي بها يترجم لفظا خاصا لكان مصيبا ومؤديا للكلام كما هو. ولوأنه ترجم قولنا:" رأيت أسدا " تريد رجلا شجاعا، فذكر ما معناه معنى قولك :" شجاعا شديدا " ، وترك أن يذكر الإسم الخاص في تلك اللغة بالأسد على هذه الصورة لم يكن مترجما للكلام ، بل كان مستأنفا من عند نفسه كلاما" (الجرجاني عبد القاهر، 1991، ص: 35-36).

ولكن ترجمة الصور البيانية تطرح إشكالات أكبر من اللفظ لأنها نتاج ثقافة مجتمع تصدر عنها أعمال الأديب فما يعبر به عن الجمال في ثقافة معينة قد يعبر به عن القبح في ثقافة أخرى وما يعبر به عن مشاعر الفرح في ثقافة معينة قد لا يكون كذلك في ثقافة أخرى فالمترجم عليه أن يعي هذه المزايا الثقافية للغتين وعيا تاما ونضرب مثالا على ذلك في ترجمة السونيته الثامنة عشرة الشهيرة لشكسبير ودونك مقطع منها:

Shall I compare thee to a Summer's Day?

Thou art more lovely and more temperate,

Rough winds do shake the darling buds of May,

And summer's lease hath all too short a date. (خلوصي صفاء، 1982، ص 34)

فالشاعر شبّه حبيبته بأيام الصيف والصيف في الثقافة الإنجليزية فصل محبب ولا نجده في الثقافة العربية إلا مرادفا لقساوة الطبيعة فهل يحتفظ به المترجم للعربية؟ كترجمة فطينه النائب:

من ذا يقارن حسنك المغري بصيف قد تجلّى

وفنون سحرك قد بدت في ناظري أسمى وأغلى؟

تجني الرياح العاتيات على البراعم وهي جذلى

والصيف يمضي مسرعا إذ عقده المحدود ولّى. (خلوصي صفاء، 1982، ص 35)

أم يستعيض عن لفظ الصيف بالربيع كترجمة ياسمين محمد مسلم:

هل من نظيرٍ في جمالك بين أيام الربيع بل أنت أبهى منه صحوًا واعتدالا لا يضيعْ

فالريح يومًا سوف تَعصِف بالزُّهَيراتِ الحبيبةْ ويَغِيبُ عنا ذا الربيع بُعَيدَ آجالٍ قريبةْ

وقد جمع بينهما (الصيف والربيع) محمد عناني في ترجمته :

ألا تشبهين صفاء المصيف

بل أنت أحلى وأصفى سماء

ففي الصيف تعصف ريح الذبول

وتعبث في برعمات الربيع

ولا يلبث الصيف حتى يزول

هذا عن الترجمة من الإنجليزية للعربية أما عن الترجمة من العربية للإنجليزية دونك هذا البيت من معلقة امرؤ القيس:

إذا ما الثريا في السماء تعرضت تعرض أثناء الوِشاح المفصل

What time in heaven the Pleides unfold

A belt of orient gems distinct with gold (Nicholson ,1922, p. 11)

نلاحظ هنا كيف أن كلمة الوشاح وهو في اللغة العربية القديمة سير من جلد يرصع بالجواهر، استهلكت من المترجم شطر البيت كاملا حتى أنه نسي أو أهمل ما سواها لأن الشاعر فصّل في تشبيهه تعرض الثريا (سيرها عرضا) كتعرّض أثناء الوشاح المفصل، ولكن المترجم شبهها بالوشاح فقط ولم يفصل ترجمة هذا التشبيه كما أن الثريا لا تعرّض كما يري العلماء لأنها نجوم مجتمعة وان امرأ القيس إنما أراد الجوزاء.

ونفس الصعوبة واجهت "آن بلانت" في ترجمة هذا البيت مع تغيير في الألفاظ فإن المرادف للوشاح في الاستخدام العربي القديم مفقود في الإنجليزية وترجماه بـseed pearls:

Came I at the mid-night, hour when the Pleiades,

Showed as the links of seed-pearls binding the sky' girdle. (Blunt & Wilfrid,1903, p. 5)

جـ- صعوبة حصر دلالات الكلمات ورموزها

تحمل كل قصيدة على المستوى الدلالي رسالة أو حكما عن العالم الحقيقي أو تحمل رد فعل الكاتب إزاء واقع هذا العالم وهذا ما ينبغي أن تقدمه الترجمة ، ولكن رسالة القصيدة غالبا ما تكون ضمنية ورمزية وليست تصريحية مما يؤدي إلى قراءات مختلفة

وتفسيرات متعددة. وكثيرا ما تكررت الإشارة إلى أن الترجمة في المقام الأول هي عملية قراءة وكما أنه ليس هناك أسلوب وحيد لقراءة قصيدة فلن يكون هناك ترجمة وحيدة لها و المترجم إنما يترجم تفسيره الخاص للقصيدة وليس ثمة سبب لافتراض أن المترجم له امتياز في فهم المعنى الذي أراده الشاعر، وقد يتغلب على المشاكل الدلالية للتفسير بالرجوع للشاعر إذا كان لا يزال حيا ولكن كيف يتسنى ذلك إذا بعدت الحقب بين الشعراء و المترجمين كما أن القارئ كما يقول النقد الحداثي قد يكون أكثر دراية من كاتب نفسه وعلى ذلك فالمعنى لم يعد في بطن الشاعر وإنما هو ثمرة تفاعل بين النص والقارئ.

د- صعوبة تحقيق التأثير المكافئ للنص الأصلي

وظيفة الشعر التأثير في النفوس وهذا التأثير لا يرجع إلى الوزن والقافية والصور البيانية وحسن السبك وانتقاء الألفاظ فحسب بل يرجع كذلك إلى ما يتضمنه من إثارة للعواطف والمشاعر، وربما كان تحقيق التأثير المكافئ أصعب مطالب الترجمة وقد يكون مستحيلا، لأن المكافئ لا يتمثل في النظير الدلالي والشكلي فحسب بل في الناتج العملي الديناميكي والناتج العملي هو التأثير في النفس وهو ما أشار إليه الشاعر الإسباني غارسيا لوركا: أن الشعر الذي يؤثر في النفس هو الشعر الجيد وما لا يؤثر في النفس هو الشعر الرديء.

والسؤال الذي يثار هنا أين يكمن لب القصيدة الذي ينتج هذا التأثير؟ وبالتالي أي أنماط المكافئ هو الأكثر أهمية فغالبا ما تلزم التضحية بالمكافئ الدلالي أو التركيبي إذا أردنا الحفاظ على المكافئ للجرس الصوتي والعكس صحيح، وما ينبغي أن يجاهد المترجم من أجله هو أن يصل إلى نظائر أو أشباه للألفاظ والعناصر الأخرى التي تحقق الوظائف اللغوية نفسها في اللغة المترجم لها وفي ثقافة القارئ. رغم ذلك فستظل تلك الألفاظ عاجزة عن تحقيق الأثر نفسه لألفاظ وتراكيب القصيدة الأصلية لدى قرائها في لغتها وثقافتها. وتظل المعضلة التي تواجه مترجم الشعر باستمرار هي كيف يمكنه، التزام الدقة قدر الإمكان للخصائص التي يحملها النص الأصلي وفي الوقت نفسه يبدع نصا شعريا باللغة الهدف يكون له الأثر العملي نفسه على القارىء مثال على صعوبة تحقيق التأثير المكافئ قول الشاعر:

كأني غَداةَ البَينِ يَوْمَ تَحَمّلوا لدى سَمُراتِ الحيّ ناقِفُ حَنظلِ

On the day of departure,

the dawn they loaded to move on,

by those thornbushes,

broke up like burst fruit. (O'Grady, 1998, p. 52)

نلاحظ كيف انحرف المترجم عن المعنى المقصود من وراء استخدام الشاعر وصف نفسه لما تحملت حبيبته وأهلها بناقف الحنظل وناقف الحنظل الذي ينفقه ليستخرج حبه وهو تدمع عيناه لحرارة الحنظل (أحمد أمين الشنقيطي، 2005، ص 24)، ولو قمنا بعملية ترجمة معاكسة back translation وأعدنا هذا البيت إلى العربية انطلاقا من الترجمة السابقة فكان سيظهر كما يلي:

يوم الرحيل مع بدء ترحلهم بفعل الأشواك انفطرتُ كثمر متفجر

ونحن هنا لا نحس ببكاء الشاعر وشدة تأثره لرحيل من يحب فهو لم يفصح أنه أجهش بالبكاء لحظة الفراق، ولكنه كنّى عن البكاء لرحيل المحبوبة ووصف نفسه كناقف الحنظل والمترجم لم يستطع بحكم ثقافته الغريبة أن يتعرف على هذا التشبيه:

Upon the morn of separation, the day they loaded to part, by the tribe's acacias it was like I was splitting a colocynth (Arberry, 1957, p. 61).

هنا أدرك المترجم وهو " آربري" تماما معنى كلمة الحنظل وترجمها ب colocynth.واستخدم فعل splitting كمكافئ لفعل نقف وعبّر عن سمرات الحي ب tribe's acacias ولكن من الصعب تحديد ما إذا كان هذا التعبير قد أوصل ما أراده الشاعر من وصف نفسه بناقف الحنظل يوم الرحيل لقرّاء الانجليزية الذين تختلف ثقافتهم بشدة عن ثقافة امرؤ القيس بمعنى آخر هل وصلت فكرة أن الشاعر كان يبكي يوم فراق حبيبته فإن كان ذلك بفعل ترجمة آربري فستكون ترجمته مثالية لأنه أوصل المعنى المراد مع ترجمة ألفاظ البيت بدقة وإذا لم يكن الأمر كذلك فكان بوسعه ترجمة المعنى أي معنى البكاء لفقدان المحبوبة والتخفف قليلا من الوفاء الحرفي للكلمات، ونلاحظ في ترجمة أخرى لنفس البيت للدكتور إبراهيم المميز :

Now that they've gone, I feel that I will lead,

The life of pickers of bitter apple seed. (إبراهيم المميز، سنة النشر غير معروفة)

لقد حاول أن يقرّب المعنى لقراء الانجليزية واستعاض عن الحنظل الغريب عن الثقافة والبيئة الإنجليزية بالتفاح الأكثر تقبلا لديهم، ولكن لأنه أجهد نفسه بالقافية فقد أثر ذلك على المعنى لأن التفاح لا يوصف بالمرارة وحتى ولو كان فيه ذلك فلن تصل درجة مرارته إلى مرارة الحنظل، كما أن قاطف بذور التفاح المرّة " pickers of bitter apple seed" لا تدمع عيناه كما يدمع ناقف الحنظل وبفعله ذلك فقد ضاع معنى البكاء والحزن الذي تملّك الشاعر لحظة الفراق.

الخلاصة

استعرضنا في هذا المقال موضوعا ملحّا في الترجمة الأدبية وهو موضوع ترجمة الشعر هل هو مستحيل أم ممكن، وقد وقع اختياري على الجاحظ لتبيان رأيه في هذا الموضوع لأنه سبق غيره - فيما بلغنا - في التنظير للترجمة في تراثنا النقدي وإن كان ما كتبه فيها قليل لا يشفي غليل الباحث المتعطش لأسلوب الجاحظ في العرض والنقد فهو بلا شك آية من آيات الثقافة العربية والنقد الأدبي، غير أن ذلك لم يمنع من وضع رأيه في هذه المسألة على ميزان النقد وتوسيع دائرة البحث في هذا الموضوع خاصة مع استعراض تجارب من ثقافات ولغات مختلفة مارست ترجمة الشعر وخاضت في التنظير لتلك العملية.

لقد قادنا البحث إلى استعراض نماذج من ترجمات للشعر العربي القديم خاصة شعر امرؤ القيس ووضحنا مكامن الإخفاق ومكامن النجاح فيها فترجمة الشعر باختصار ممكنة ومستحيلة في آن، لأن الترجمة التي تنشد تحقيق المكافئ الثقافي والإبداعي مستحيلة قطعا غير أن لتلك الاستحالة حدودا تتكسر في وجه التطور العلمي وتراكم التجارب بفعل ممارسة الترجمة والأمثلة كثيرة جدا للترجمات الناجحة التي زادت النصوص المترجمة غنى والثقافات المترجم عنها ثراء والشعوب المترجم إليها حكمة وحسن بيان.

قائمة البيبلوغرافيا

المراجع العربية

- الشنقيطي، أحمد أمين. (2005). *شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها*. بيروت: المكتبة العصرية.
- باث، أوكتافيو. (2013). الترجمة: الأدب والحرفية (ترجمة عبد الله التوتي). بيت الشعر، 8، ص 56-63.

- باسنت، سوزان. (2012). *دراسات الترجمة* (ترجمة فؤاد عبد المطلب). دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب.
- بدوي، أحمد أحمد. (1996). أسس النقد الادبي عند العرب. القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. (2003). *كتاب الحيوان، الجزء الأول*، (الطبعة الثانية). بيروت: دار الكتب العلمية.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. (1967). كتاب الأخبار وكيف تصح؛ تحقيق شارل بلا. *المجلة الآسيوية، 25*.
- ابن طباطبا، محمد أحمد. (2005). *عيار الشعر* (الطبعة الثانية). بيروت: دار الكتب العلمية.
- الجرجاني، عبد القاهر. (1984). *دلائل الإعجاز*. جدة: دار المدني.
- الجرجاني، عبد القاهر. (1991). *أسرار البلاغة*. جدة: دار المدني.
- خلوصي، صفاء. (1982). *فن الترجمة في ضوء الدراسات المقارنة*. بغداد: دار الرشيد للنشر.
- شاكر، محمود محمد. (1997). *قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام*. جدة: دار المدني.
- عناني، محمد. (2003). *نظرية الترجمة الحديثة: مدخل إلى مبحث دراسات الترجمة*. القاهرة: الشركة المصرية العالمية للنشر.
- عبد الحميد، مصطفى. (1978). نظرية الجاحظ في الترجمة. *مجلة المورد،7*(4).
- بن عبد العالي، عبد السلام. (2001). *في الترجمة*. بيروت: دار الطباعة والنشر.
- العطار نوار، جمال. (1989). *آراء الجاحظ في مناقب الأمم ومثالبها عرض وتحليل*. رسالة مقدمة الى الدائرة العربية الجامعة الاميركية في بيروت لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي.

المراجع الإنجليزية

- Nicholson, R. A. (Ed.). (2013). *Translations of Eastern poetry and prose*. Cambridge University Press.
- Clouston, W. A. (Ed.). (1881). *Arabian poetry for English readers*. M'Laren.
- Blunt, W. S. (1903). *The Seven Golden Odes of Pagan Arabia: Known Also as the Moallakat*. translators, printed & sold by the Chiswick Press.
- Sells, M. (1989*). Desert Tracings Six Classic Arabian Odes (By Alqama, Ahanfara, Labid, Antara, Al-Acha, And Dhu al-rumma)*. Middletown : Wesleyan University Press.
- Ṭarafa, & Sells, M. (1986). The" Muʿallaqa" of Ṭarafa. *Journal of Arabic Literature*, 21-33.
- Arberry, A. J. (2018). *Routledge Revivals: The Seven Odes (1957): The First Chapter in Arabic Literature* (Vol. 1). Routledge.
- O'Grady, D. (1998). *The Golden Odes of Love*. Cairo: American University in Cairo Press.

Romanization of Arabic Bibliography

- Al-Jahiz, Abu Uthman Amr ibn Bahr. (2003). *Kitab Al-Hayawan, Part 1, 2nd ed, [BOOK OF ANIMALS, PART 1]*. Dar Al-Kutub Al-Ilmiyah, Beirut.
- Al-Jahiz, Abu Uthman Amr ibn Bahr. (1967). "*Kitab Al-Akhbar wa Kayfa Tusahh." [BOOK OF NEWS AND HOW TO VERIFY IT]*. Edited by Charles Pellat. Journal Asiatique, Vol. 25.
- Ibn Tabbataba, Muhammad Ahmad. (2005). *"Ayyar Al-Shi'r". Edited by Abbas Abdul Sattar, [THE METER OF POETRY]*. Dar Al-Kutub Al-Ilmiyah, Beirut.
- Bassnett, Susan. (2012). *Dirasat Al-Tarjama. Tarjamat Fouad Abdel Matlub, [STUDIES IN TRANSLATION]*. General Authority for the Book, Damascus.
- Badawi, Ahmed Ahmed. (1996). *Ossos Anaqd Aladabi Inda Al-Arab [FOUNDATIONS OF LITERARY CRITICISM AMONG ARABS]*. Nahdat Misr for Printing and Publishing.
- Al-Jurjani, Abdul Qahir. (1984). *Dalail Al-I'jaz. Tahqiq Mahmoud Muhammad Shaker., [EVIDENCE OF INIMITABILITY]*. Dar Al-Madani, Jeddah.
- Al-Jurjani, Abdul Qahir. (1991). *Asrar Al-Balaghah. Tahqiq Mahmoud Muhammad Shaker, [SECRETS OF ELOQUENCE]*. Dar Al-Madani, Jeddah.
- Khalusi, Safaa. (1982). *Fan Al-Tarjama Fi dawa Al-Dirassat Al-Moqaranah, [THE ART OF TRANSLATION]*. Dar Al-Rashid for Publishing, Iraq.
- Shaker, Mahmoud Muhammad. (1997). *Qadiyat Al-Shi'r Al-Jahili fi Kitab Ibn Salam. [THE ISSUE OF PRE-ISLAMIC POETRY IN THE BOOK OF IBN-SALAM]*. Dar Al-Madani, Jeddah.
- Anani, Muhammad. (2003) *Nazariyat Al-Tarjama Al-Haditha: Mudakhil Ila Mabahith Dirasat Al-Tarjama. [MODERN TRANSLATION THEORY: AN INTRODUCTION TO THE FIELD OF TRANSLATION STUDIES]*. Al-Sharikah Al-Masriyah Al-Alamiyah lil Nashr.
- Mustafa, Abdul Hamid. (1978). *Nazariyat Al-Jahiz fi Al-Tarjama. [AL-JAHIZ'S THEORY OF TRANSLATION]*. Majallat Al-Mawrid, Vol. 7, No. 4, Dar Al-Hurriyah lil Tab' wa Al-Nashr, Baghdad.
- Abdul Salam bin Abdul Al-Ali. (2001). *Fi Al-Tarjama. [ON TRANSLATION]*. Dar Al-Tiba'a wa Al-Nashr, Beirut, First Edition.
- Al-Attar Naware, Jamal. (1989). *Aray' Al-Jahiz fi Manaqib Al-Ummam wa Mithalibaha: Ard wa Tahleel Risalat Muqaddamah Ila Al-Da'irah Al-Arabiyyah [Al-Jahiz's Views on the Virtues and Vices of Nations: Presentation and Analysis]*. Al-Jami'ah Al-Amirkiyyah fi Beirut li Nahil Darajah Al-Majistir fi Al-Adab Al-Arabi.
- Bath, Octavio. (2013). A-Tarjama: L-Adab Wa L-Harfiya [Literary and Artistic Translation] (Translated by Abdullah Al-Tuti). *House of Poetry*, 8, pp. 56-63.